# الباب الأول

## (عدالة وأمن)

١- برزان والقيد

٢- جهالة وسماحة

٣- أضيف أم خصم

٤- نجدة المظلوم

٥- لا أحبه ولا أكرهه

٦- في صيوان المنتصر

٧- برقية ومرية

# بَـرْزان والقَيْد

إن القصص التي تروي الجانب الإنساني في حياة الملك عبد العزيز كثيرة، ولكن أغلبها لم يسجل وإنما يتناقلها الرواة.

ولهذا فحري أن تلتقط تلك الرواية وأن تصاغ تلك الحكايات؛ فتاريخ العظماء حافل بتلك الجوانب المشرقة، زاخر بفيض من الأحداث المضيئة.

ولقد سمعت قصةً تحكي حلم الملك عبدالعزيز وتُصور ذاكرتَه، وتُظهرُ رفقَه برجاله، وعفوَه عن هفواتهم، وتناسيه لزلاتهم، وتربيته لهم فقد كان عظمياً؛ يُعلم ويُؤدب، ويأتي بالكلمة في موضعها، ويسوقُ الشاهدَ في مكانه.

فحين تشرفت بنيل جائزة حائل للإبداع العلمي عن كتاب (بطولة ملك) في نهاية شهر شوال من عام

١٤١٩هـ وأثناء حضور الاحتفال الذي كان على شرف صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ وخلال الجلسات الخاصة المتعددة، تشعب القولُ وتنوَّع، وتعددت الأحاديث وتجاذب الحضور أطرافَ القول، وتطرق المتحدثون بين الحين والآخر لسيرة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه.

وأثناء المداخلات والحديث عن قصر بَرْزَان الأثري بمدينة حائل روى صاحبُ السمو الملكي الأمير سلمان ابن عبدالعزيز موقفاً للملك عبدالعزيز يتعلق بقصر برْزان وبمقُولة واحد من رجاله.

يقول سمُو الأمير سلمان: إنه أثناء كفاح الملك عبدالعزيز لتوحيد الوطن، وبالتحديد في منطقة القصيم، وبعد أن دخل الملك ورجاله قصرَ بريدة عفا عن رجال الحامية، وكان من أخلاقه العفو والتسامح

وقال الملكُ عبدالعزيز : وعمَّا قريب سيكون -إن شاء الله- دخولنا قصرَ برزان بحائل .

وتسرع واحدٌ من رجال الحامية الذين عفا عنهم الملك ويدعى مبارك الشمران، وكان رجلاً فكهاً وقال بصوت هامس : إلا أن يكون ذلك بالقيد .

ويقصد الرجل الاستحالة والمنعة، حيث يُسيطر ابن رشيد على حائل آنذاك .

وتجاهل الملكُ عبدالعزيز هذا القول، وتغابى عن هذه الكلمة وكأنه يردد قول الشاعر :

ليس الغَبيُّ بسيِّدٍ في قومه
لكن سيِّدَ قومه المُتَغابي

ولم يُحاسب الرجلَ على كلامه، بل شارك هذا المتحدثُ الملكَ عبدالعزيز في الكثير من المغازي والمعارك، وصار من رجاله .

ومضت الأيام، ودارت الشهور، وازداد الملك عبدالعزيز قُوة ومنعة، ومكَّن الله له في الأرض وتوالت بطولاته، وتتابعت المعارك، من منطقة لأخرى، ومن انتصار لانتصار.

ولما استرد ذلك الإقليم الجامح (حائل) ودخل قصر برزان كان مبارك الشمران ـ وقد أصبح واحداً من رجاله ـ واقفاً بسلاحه مع بقية الرجال، وعند ذلك تحركت الذاكرة عند الملك عبدالعزيز وكأنها برقٌ أضاء وقال: ها نحن ندخل قصر برزان يا أخا شمران بدون قيد، وأحسب أن ذلك الرجل قد فتح فاه ولم يعلم المقصود، وأظنه بُهتَ ولم يعرف المراد، وأجزم أن الملك ذكره بقوله قبل سنين: (إلا أن يكون دخولك يا عبدالعزيز قصر برزان وأنت بالقيد).

إنه ملك لا ينسى ولا يحقد، ولكنه يُربي ويُعلم ويُلقن ويُؤدب.

إنه موقف يكشف عن ذاكرته وذكائه، ويُبين حلمه وعفوه، ويُصور إنسانيته وكرمه، فلم يحقد، ولم ينتقم من ذلك الرجل الذي أطلق لسانه.

ألا ما أجمل حفظ اللسان، وأجمل منه أن يكون اللسان رسولاً صادقاً عما في القلب، وقديماً قالت العربُ في أمثالها: «مقتل الرجل بين فكيه». وجاء في المثل العربي كذلك: «رُبّ كلمة قالت لصاحبها دعني».

## جهالة وسماحة

رحم الله الملك عبد العزيز ما أحلمه وأكرمه! فما أكثر الذين جَهلوا عليه وسامحهم، داوى الجرُوح، ورد الجَمُوح، وَعفا عن الزلات، ولطم البُغاة

قال الراوي[1]: انطلق الأمير فهد بن تركي بن جلوي بمجموعة من الفرسان لملاحقة بعض العصاة، وأثناء المطاردة أغاروا على ذود من الإبل، ظنوا أنها للأعداء، ولكن تبين أنها لرجل من الموالين للملك عبدالعزيز يقال: إنه ذيب بن هدلان. وحين ثارت البنادق وتصادم الرجال، قُتل على الفور ذلك الأمير الغالي. وعادت المجموعة باكية على فقد قائدها ووصل الخبر للملك، فحزن على فقد الراحل وأسف لما حدث، وفر القاتل ذيب بن هدلان، وخاف من الانتقام، ولكن الملك أعلن عفوه، فالأمر قضاء وقدر، والأجل قد حضر، ولا راد لقضاء الله.

(١) الراوي هو العم: حمد بن عبدالله العبيكان ـ رحمه الله ـ الذي كان يعمل مستشاراً في مكتب صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز.

ومضت الأيام، وجاء القاتل إلى «الرّقَيِّقَة» سكن البادية بالأحساء، وكان أمير الأحساء آنذاك الأمير عبدالله بن جلوي، أخو الأمير القتيل ـ رحمهما الله ـ وأسرع واحد من أبناء عمومة القاتل إلى الأمير يخبره بوجود القاتل في الأحساء.

وقال الأمير بن جلوي للمخبر: احضر غداً وسوف ترى وظن المخبر أنه سينال مكافأة وسيحصل على هدية من الأمير.

وأرسل الأمير إلى الأعرابي من جاء به، وظن المسكين الظنون وأيقن بالهلاك. ولكنه حين دخل مجلس الأمير وجد الكرامة والتقدير، ولقي التقدير والتبجيل. وقال الأمير بن جلوي: يا هذا لو أردناك لوجدناك، ولو كنا نريد الانتقام لما تركناك، إن الملك عبدالعزيز قد عفا عنك وعلَّمنا العفو والتسامح، والجميع يعلمون أن ما حل قضاء وقدر، وليس أمراً

مقصوداً، لا من الراحل ولا منك ولكنه خطأ كان وعفا الله عما مضى وما صار، ولكن تفضل للأكل واعلم أن ابن عمك هذا قد وشى بك.

قال الأعرابي: أجزل الله لك الأجر، وعفا الله عنك، وغفر الله للراحل، ولكني لا أستطيع الأكل فالقلب وصل إلى الحنجرة رهبةً، والخوفُ من الموت أذهب الجوع، ولكني أرجو أن تأذن لي بالانصراف وأن تسمح لي أن أصيح في قومي، أن يُسوِّدُوا وجه هذا الحاقد.

قال الأمير لك ما تريد.

وخرج الرجل ودار يعلن الشتيمة في كل حي لذلك الواشي، وبعد أيام وصل إلى الرياض، وزار الملك، واعتذر وطلب العفو، واستقبله الملك، وأكرمه وعفا عنه وسامحه، ولكن بينما الملك مصغٍ إليه دخل زعيم إحدى القبائل وغاظه إصغاء الملك

وساءه اهتمامه بذلك الأعرابي الصغير القامة، وتساءل في كبرياء من هذا القنفذ الذي تُصغي إليه يا عبدالعزيز؟

قال الملك: لا تتطاول فهذا خلق الله.

قال الأعرابي: دعني أرد عليه يا عبد العزيز.

قال الملك: اتركه ولا ترد عليه.

قال الزعيم: أرجو أن تأذن له في القول فماذا عساه قائل.

وأذن الملك للأعرابي.

وعند ذلك رفع الأعرابي يديه إلى السماء وقال: اللهم اجمعني وإياك في يوم يكون السيف هو الفيصل والحكم.

ودارت الأيام واستجاب الله لدعائه، وصار صِدَام بين قوم هذا وذاك

وخرج الأعرابي يصيح أينك يا فلان، إن كنت بطلاً فتقدم، إن كنت رجلاً فبارز، وانطلق الرصاص وَصوَّبه إلى ذلك المغرور وجرحه.

وجاء الزعيم إلى الملك عبدالعزيز يتوكأ على العصا.

قال الملك: ماذا أصابك؟

قال الزعيم: فلان.

قال الملك: لقد استجاب الله لدعائه ألم أقل لك دعه ولا تشمت.

وبرئ ذلك الأرعن من جرحه، ودارت الأيام ولكنه لم يحفظ العهد ولم يرع الإكرام، وتمرد مع المتمردين الذين شذوا عن الطاعة، وشقوا عصا الجماعة، وحاول الملك إصلاحهم، وترجاهم ووعظهم، وذلك رغبة منه في حقن الدماء، ودرءاً

للفتنة وتجنباً للبلاء، ولكن غلب الهوى نفوس القوم ونفروا وتحصنوا وتحزبوا وهرول البطل إليهم وتقابلت الجموع، واقتربت الزحوف، وصار اللقاء قاب قوسين أو أدنى. وكان الملك ـ رحمه الله ـ يحاول في تلك اللحظات الحاسمة درء الفتنة، ولذا ما إن جاءه الخبر أن ذلك الزعيم قد جاء برفقة مجموعة من أصحابه، حتى أمر باستقباله وتكريمه ودار الحوار التالي:

الزعيم: يا أبا تركي جئنا نريد السلام.

الملك: ولكم الأمن والأمان.

الزعيم: أعطني يدك للمبايعة والعهد.

الملك: أظنك لن تفي ولن تصدق، فدائماً أفعالك خلاف أقوالك.

الزعيم: سوف أعود وأمنع القوم، وإن رفضوا

ابتعدت برفاقي، وسوف ترى رايتي وقد انضمت لجيشك الزاحف.

الملك: على بركة الله وعاهد الرجل.

وقفل القوم عائدين، ولكن الملك اللماح قال: انظروا إليه، فإن التفت فلن يفيَ بالوعد، ولن يحفظ العهد، وراقبوه وكان الأمر كما قال الملك، فقد تجول ببصره، وصدق ظن الملك، فقد جاء يرقب الأمر بنفسه، ويرى القوة القادمة، ومع ذلك تركه الملك يرحل.

وحاول الملك في اللحظات الأخيرة درء الفتنة ومنع الدم أن يراق، فأرسل رسالة للقوم يدعوهم للسلم والسلام، ولكنهم صوبوا للرسول القادم البنادق، وكادوا يقتلونه، ولم ينظروا للرسالة، وعاد الرسول يولول ويصيح، وعلى الفور تحركت الجموع

ودارت المعركة وانتصر الحق، وجرح ذلك الزعيم وبعد المعركة جاء به أهله ونساؤه إلى الملك عبدالعزيز يطلبون العفو، ويظهرون الندامة، وعلم الملك بقدوم الجريح فعفا وأغضى، وعند مقابلته له نزع الملك ثيابه المعطرة واستبدلها بثياب أخرى كي لا تشتم جروح الجريح.

إنه ملك كريم يترفق بأعدائه، ويعفو عن حساده، ويتحرج حتى من ملابسه المعطرة، وينزعها كي لا يتأثر الجريح. ألا ما أحلم الكريم الراحل وأعظمه!

يقول الراوي: وأهدى الملك للجريح ونسائه خمسين جنيها وأربعمائة ريال فضة، كما وزع على المرافقين للجريح مائتي ريال فضة، ثم تركه يرحل ويذهب.

وكأن الشاعر المتنبي يقصد الملك عبدالعزيز بقوله:

وكَيْفَ يَتِمُّ بَأْسُكَ في أُنَاسٍ
تُصيبُهُمُ فَيُؤْلِمُكَ المُصَابُ

تَرَفَّقْ أيُّهَا المَوْلَى عَلَيْهِمْ
فَإنَّ الرِّفْقَ بِالجَاني عِتَابُ

رحم الله الراحل، فقد كانت أخلاقه الصبر والحلم والعفو والتسامح.

ومضت الأيام وبرئ ذلك الجريح، ولكنه عاد للجحود والنكران وفر إلى خارج المملكة، وناصب الملك العداوة وصبر الملك وصابر.

وما هي إلا أيامٌ، وجيء بالشارد، ولم ينتقم الملك العظيم، بل حمى النافر من نفسه، وحجزه ولم يسفك دمه، وبقي حتى توفاه الله.

هذه صورة من العفو والتسامح وبعد النظر عند الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه.

وصورة أخرى يقول الراوي.

هاجم ثلاثة من زعماء البادية قوافل المسافرين وامتدت أيديهم إلى إبل لأفراد الأسرة المالكة، ونهبوا وسلبوا وفروا إلى العراق، ولكنهم يعلمون أن الملك عبدالعزيز يرقب الأمن ويرعاه، ولن يدع البغاة يمرحون وسيلاحقهم ويؤدبهم، كيف وقد تجرؤوا ووصلوا إليه.

وحين علموا أن الملك سيحل ضيفاً على ملك العراق الشريف فيصل بن عبدالله، اتصلوا بملك العراق ورجوه أن يسمح لهم بالسلام على الملك، ويعتذروا ويطلبوا العفو.

وكان لهم ما أرادوا وجرى بينهم الحوار التالي:

الملك: لماذا تعديتم وتجاوزتم؟

الجناة: إنها نزوة والعفو منك يا طويل العمر.

الملك: لقد عفوت ولا تثريب عليكم، ولكم الخيار إن عدتم فالمملكة واسعة، وإن بقيتم فالأمر إليكم.

وعاد أولئك إلى أهليهم وذويهم بعد أيام من العذاب، وأشهر من الهم والعناء، فهم يعلمون أن الملك يرعى الأمن ويسهر عليه، والويل للعابثين.

فكم سير الجنود، وبعث المقاتلين لتأديب البغاة وملاحقة العصاة، وبسط الأمن والأمان، والسلم والسلام.

إنها صور من العفو والتسامح، ولوحات من الحلم والإغضاء، وتلك أخلاق القادة الكرام والزعماء العظام.

## أضيف أم خصم؟

رحمَ اللهُ الملكَ عبدَ العَزيز؛ فقدْ جعلَ للقضَاء مهابةً، وللقُضَاة مكانةً، وتمسَّكَ بشَرْع اللَّه فأعزَّه اللهُ، وحكَم بكتَاب اللَّه فمكّنَهُ اللهُ وتصاغرَ أمامَ القَضَاء، فعظُمَ وكبرَ.

ولهُ مواقفُ في هذَا الأمْر تكشفُ عن جانب من إنسانيَّته السَّمحة، وتصوِّرُ نفسيَّته المتواضعةَ وتجسِّدُ عدلَه ورفقَه برعيّته.

ومن ذلك أنَّه في ذات يَوم، بعدَ وفَاة والده الإمام عَبْد الرَّحمن بن فيصل، قابلَه رجلٌ من عامَّة النَّاس بعدَ صَلاة الفَجر، ودارَ بينَهما الحوارُ التَّالي:

قالَ الرجلُ وبكُلِّ بسَاطة وجرأة ودونَ ألقَاب

ولا كُنى : يا عبدَ العزيز إنَّ لي في رقبة والدك الإمام عَبد الرحمن دَيْنًا قدره مائة ريال .

قالَ الملكُ عبدُ العزيز : وهَل عندك شُهودٌ .

قالَ الرجلُ : شَاهدي هُو اللهُ .

قالَ الملكُ : ونعم بالله ، لكن يا أخَا العَرب لا أستطيعُ أن أصنعَ لكَ شيئاً إنْ لَم يكُن لديك بيِّنةٌ تثبتُ ادعاءَك .

قالَ الرجلُ : بيني وبينك شرعُ الله .

قالَ عبدُ العزيز : صدقتَ

وانصرفَ الاثنان من المسجد ، وتوجَّه الملكُ عَبد العزيز معَ هَذا الرَّجُل إلى الشَّيْخ سَعْد بن عَتيق قاضي الرِّياض آنذاك .

وطرقَ عبدُ العزيز البابَ ، وحينَ سمعَ الشيخُ

سعدٌ صوتَ المَلك عَرَفَه، وعلمَ أنَّ بصحبته رجلاً آخر، فقال الشيخُ سعدٌ للمَلك: يا عبدَ العَزيز أجئت ضيفاً أم خَصْماً.

قالَ عبدُ العَزيز: بَلْ خَصْماً.

قالَ الشيخُ سعدٌ: إذاً اجلسْ يا عبدَ العَزيز أنتَ وخصمُك علَى الأرْض، فجلَسَ الخَصْمان الملكُ والمواطنُ.

وجلسَ القَاضي على عَتَبة الباب.

إنَّها البساطةُ والتواضعُ والعدلُ والإنصافُ إنَّها صورةٌ ورَّثَت الحُبَّ، وزرعَت الولاءَ وغرسَت الصفاءَ. فأيّ مكَان في الدُّنيا يوجَدُ فيه هذَا المشهدُ؟ ملكٌ وقاض ومواطنٌ من عامَّة الشَّعب يجلسونَ للمُحاكمة، وأمامَ منزل

القاضي تكونُ الخصومةُ. ويحكمُ القاضي فوراً ويرضَى الخَصْم بالحُكْم.

ثم بعدَ ذلكَ يلتفتُ الشَّيخُ سعدٌ إلى المَلك عَبْد العَزيز ويقولُ: الآنَ أنتَ ضَيْفي.

ويدخُل الملكُ منزلَ الشَّيْخ ويشربُ القهوة، ويتبادلُ معَه الأحاديثَ.

رحمَ اللهُ الملكَ الراحلَ، تواضَعَ فرفعَه اللهُ، وأجَلَّ الشَّرعَ فأجَلَّه اللهُ، وعدَلَ فأكرمَه اللهُ.

وصورةٌ أخْرَى يزدانُ بهَا تاريخ الرَّاحل ويُفاخُر بهَا كلُّ مواطن، حيث تجلَّتْ عظمة المَلك وأشرقَت صورتُه، وسيطرَ علَى مشَاعره، وكبحَ كبرياءه، وسمع كلاماً فيه غلظةُ الصَّحراء، وجَفاءُ الأعَراب، وخشونةُ البَادية،

إنَّها معَ بدويٍّ أعرجَ حَافي القدمَيْن، وسمته الصحراء بقسوتها وجفائها.

ففي ذات مرَّة، وبينَما كانَ الملكُ مسافراً إلى شَقْراءَ، قابَله في الطريق بدويٌّ أعرجُ، وصرخَ بأعلَى صَوْته: أوقف مطيَّتَك يا عبدَ العَزيز، أنَا رجلٌ فقيرٌ مظلومٌ، لا تتركْني لغَيْرك.

وتوقَّفَ الملكُ العظيمُ ليسمعَ كلامَ هذَا الأعرابيِّ الذي ملأ المعسكرَ صراخاً وصياحاً.

ورفعَ الأعرابيُّ رأسَه، وخاطبَ الملكَ وهو على راحلَته بخطَاب الأعرَاب الجُفاة، وقال: يا عبدَ العزيز اتَّق اللهَ!! الكبرياءُ له سُبحَانه، أنت ـ مثلي ـ رجلٌ مخلوقٌ ضعيفٌ، العظمةُ للَّه جلّ جلالُه لا تنظرْ إليَّ من فَوْق راحلَتك. تواضَع فقَد نصرك اللهُ بالأمس فأعطه حقَّه من الشُّكر.

كلامٌ من القَلْب لا تشوبُه رهبةُ المَلك ولا عظَمة السُّلطان، وحديثٌ من أعرابيٍّ صادفَ الملكَ في سَفَره وأوقَفَه وحاوَرَه، وتجرَّأ وقسَا، وهذه الصحراءُ طَبَعت رجالَها بهذه الخُشونة.

وسيطَر العظيمُ على مشَاعره، وانتصرَ على نَفسه، وعاملَ الرجلَ برفق: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ وأناخَ عبدُ العَزيز راحلتَه، ونزلَ إلى الأرض، ثُم مدَّ يدَه وصافحَ الأعرابيَّ وقالَ: مرحَباً بكَ يا أخَا العَرَب، لقد أمَرْتَني بخَير. ما اسمُك؟

قال الأعرابيُّ: اسمي مطلق.

قالَ الملكُ: من أيِّ القَوْم أنتَ؟

قال الأعرابيُّ: من الإخْوَان، من القَوْم الذين قاتلوكَ بالأمْسِ.

قالَ عبدُ العَزيز ما مظلمَتُكَ؟

قالَ الأعرابيُّ: لقد اقتطعَ أميرُ الدوادمي أفضلَ الأراضي المشَاعة بينَ المسلمين لإبله، ومنعَهم الرعي فيهَا، وحينَ دخلَها جَمَلي صادَرَه، ووضعَ وَسْمَه علَيه. وقد حاولتُ نصحَه أن يتقيَ اللهَ ولكنَّه طردَني.

وتأثَّر الملكُ الإنسانُ، والبطلُ المؤمن، ولعلَّه ذرفَ دمعةً لمعاناة هذَا الفقير المسْكين، ولحسرَة هذَا المُواطن الضَّعيف؛ فهوَ الملكُ الوقّافُ عندَ حُدود الله، الناصرُ لشَرْع اللَّه، المانعُ من الظُّلم والجور.

وهدَّأ من روع المسكين، وربَّت على كَتفه، وطلبَ ورقةً والناسُ ينظرونَ، إنَّه مشهدٌ إنسانيٌّ

شهدَه العشراتُ من الرِّجال، إنَّه إعلانٌ للأمَّة ولأمرائه أينَما كانُوا أنَّه لا ظلمَ ولا ضَيْمَ.

وكتبَ الملكُ علَى الورقة.

من عَبد العَزيز إلى أمير الدوادمي، أعدْ لمطلق جملَه، وأعطه من جمالك جملاً آخرَ، نكالاً لك على ظُلْمك له، وحَذار أن يتكرَّرَ منكَ هذَا مع أحَد من المسلمينَ.

وناولَ مطلقاً الورقةَ، ثُم ركبَ الملكُ ذَلُولَه، وعندمَا تحرَّكَ الركبُ ونظرَ الأعرابيُّ في الوَرَقة جرَى خلفَهم، وصاحَ:

ريِّضْ يا عبدَ العزيز، أي قفْ.

فوقفَ الملكُ وقالَ: انتَهيتَ يا مطلقُ، هدَاكَ اللهُ، ماذا بقيَ؟

قالَ الأعرابيُّ: رسالتُك لم ترشمْهَا. أي لَم تختمْها

قالَ الملكُ: أميرُ الدوادمي يعرفُ خطِّي

قال الأعرابيُّ: لا، أعطني ختمَك.

قالَ الملكُ: أحضرُوا حبراً. وختمَ الكتابَ، وانطلقَ ـ رحمه الله ـ لغَايته.

أمّا الأعرابيُّ فكأنِّي به يدعُو ويشكرُ ويتحدَّثُ ويفاخرُ.

هَذه صورةٌ رواهَا الثقاتُ، ودوَّنَهَا التاريخُ، تَحكي البساطَة والرِّفقَ، وتنطقُ بالعَدْل والتسامُح.

أعرابيٌّ قاتلَ الملكَ، وتمرَّدَ مع المتمردينَ، وندَّ معَ البُغاة، ومعَ ذلكَ يعترفُ وينشدُ عدلَ المَلك ويطلبُ إنصافَه.

ويُقابلُه الإنسانُ العَظيمُ بالرِّفْق والبساطَة. إنَّها مكارمُ الأخْلاق التي سادَ الملكُ الإنسانُ بهَا الناسَ، وتناقلَها الرواةُ.

وأحسبُ الشاعرَ أبَا العَتاهيَة يعنيه بقوله:

إذا أردتَ شريفَ النَّاس كلِّهم
فانظرْ إلى مَلك في زيِّ مسكين
ذاكَ الذي عظمتْ في اللَّه نعمتُه
وذاكَ يصلحُ للدُّنيا وللدِّين

## نجدة المظلوم

. . وين العجيري؟ نادوا العجيري، وتقترب راحلة عبد الله بن أحمد العجيري من راحلة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ويقرأ على الملك من كتب الحديث والأدب والشعر، لقد كانت الرحلة ثلاثاً وعشرين ليلة من الرياض إلى مكة المكرمة، وفي كل ليلة علمٌ ومعرفةٌ، وقراءة وحديث.

يقول حافظ وهبة الذي كان من المرافقين في تلك الرحلة: كانت تلك الأيام من أسعد الأيام في حياتي، كانت تذكرنا بالحياة الأولى التي كان يحياها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كُنا نقضي أوقاتنا إمّا في قراءة القرآن أو دراسة البخاري أو مسلم، أو سيرة ابن هشام، وكان

كل ذلك يتم ونحن نقطع الطريق على ظهور الإبل.

لقد أثرت هذه القراءات في شخصية الراحل وزادته قُرباً من الله، وحرصاً على العدل وربطته بعظماء الإسلام، واقتفاء آثارهم والاَقتداء بسيرهم.

فها هو يوجه بنشر إعلان شهد به القاصي والداني يقول أحد الحجاج: إنه في سنة ١٣٧٢هـ وبينما كان داخلاً من الباب المجيدي في الحرم النبوي بالمدينة المنورة لفت نظره لوحة إعلانات معلقة على جدار المسجد وفيها الإعلان الآتي نصه:

«من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود إلى شعب الجزيرة العربية: «على كل فرد من رعيتنا

يُحسّ أن ظلماً وقع عليه، أن يتقدم إلينا بالشكوى. وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها، بطريق البرق أو البريد المجّاني على نفقتنا..»

«وعلى كل موظف بالبريد أو البرق، أن يتقبل الشكاوي من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي..»

«وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه، مهما تكن قيمتها، أو حاول التأثير عليه، ليخفف من لهجتها، أننا سنوقع عليه العقاب الشديد.»

«لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يُحمّلني الله وزر ظلم أحد، أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم.»

«ألا قد بلغت . . اللهم فاشهد!»

وعلم ـ رحمه الله ـ أن برقية شكوى تأخر وصولها إليه، أو وصلت إليه مختصرة خوفاً من نُفوذ المشتكى منه. فأمر بمعاقبة المسؤول وأصدر أمراً ملكياً نصه الآتي:

«كل شكاية تُرفع لنا عن طريق البرق أو البريد، من أي شخص كان، يجب أن ترسل لنا بنصها. ولا يجوز تأخيرها ولا إخبار المشتكى منه، سواء أكان أميراً أو وزيراً أو أدنى أو أكبر من ذلك».

وفتح ـ رحمه الله ـ أبوابه وسن السنن الحسنة التي توارثها أبناؤه وأحفاده من بعده - أعزهم الله - بفتح الأبواب واستقبال أصحاب الحاجات وسماع شكواهم والنظر في طلباتهم.

وإنه يغلب على ظني أن الراوية العجيري قد قرأ عليه قصة الرداء الأحمر . . يقول ابن عبدربه في كتابه العقد الفريد :

بينما المنصور في الطواف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فجزع المنصور وجلس بناحية المسجد وأرسل إلى الرجل فجاءه .

فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض؟ وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت[1] مسامعي ما أمرضني .

قال الرجل : إن أمنتني يا أمير المؤمنين

(١) حشوت : ملأت .

أعلمتك بالأمور من أصولها، وإلا احتجزت[1] منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل.

قال المنصور: فأنت آمن على نفسك فقل. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع، وحال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت.

قال المنصور: فكيف ذلك؟ ويحك يدخلني الطمع، والصفراء[2] والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي؟

قال الرجل: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك، إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم

(١) احتجزت: أي انعزلت عنك أو حبست ما عندي عنك.
(٢) أي الذهب والفضة.

وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجصِّ والآجر وأبواباً من الحديد، وحراساً معهم السلاح، ثم سجنت نفسك عنهم فيها، وبعثت عمالك في جبايات الأموال وجمعها وأمرت أن لا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان نفر سميّتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم، ولا الملهوف، ولا الجائع العاري إليك. واسترسل هذا الرجل في العظة والقول إلى أن قال: لقد كُنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين، فقدمتها مَرّة وقد أصيب ملكهم بسمعه فبكى يوماً بكاءً شديداً فحثه جلساؤه على الصبر فقال: أما إني لست أبكي للبليّة النازلة ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذا قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب. نادوا في

الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوماً.

فهذا يا أمير المؤمنين! مشرك بالله بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شُحِّ نفسك.

وأخذ الرجل يعظ ويتكلم حتى أجهش المنصور بالبكاء ثم قال: ليتني لم أخلق ويحك كيف أحتال لنفسي؟

قال الرجل: يا أمير المؤمنين! إن للناس أعلاماً[1] يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك

(١) جمع عَلَم: أي سيد القوم.

وشاورهم في أمرك يسددوك[1].

قال المنصور: قد بعثت إليهم فهربوا مني.

قال الرجل: خافوك أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك، وسهل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع[2] الظالم، وخذ الفيء والصدقات على حلِّها، واقسمها بالحق والعدل على أهلها وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة.

إن الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ يسر لأصحاب الحاجات وسائل الاتصال ومنع الظلم فأحبه شعبه وترحم عليه وطنه.

(١) أي يرشدوك إلى الصواب.

(٢) أي اصرفه عما يريد واقهره.

## لا أحبه ولا أكرهه

رجلٌ ساءتْ حالُه، ونفدَ زادُه، وتركَ أهلَه وصارَ يبحثُ عن لُقْمة العَيْش من واد لآخرَ ومن حيٍّ إلى حيٍّ، ولعله يردِّدُ قول الشاعر:

لولا أميمةُ لَمْ أجزع من العَدَم
ولم أقاسِ الدُّجَى في حِندس الظُّلَمِ[1]
وزادَ في رَغْبتي في العَيْش مَعْرفتي
ذُلَّ اليَتيمة يجفوُها ذَوُو الرَّحِمِ
أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يُلمَّ بها
فيهتكَ السِّتْرَ عن لحم على وَضَمِ[2]
تهوَى حياتي وأهْوَى موتَها شفقاً
والموتُ أكرمُ نزَّالٍ على الحُرَمِ

(١) الدجى: الليل. الحندس: شدة الظلمة.
(٢) الوَضم: خوان الجزار والخباز.

أخـــشَى فَظَاظةَ عَمٍّ أو جَـفَـــاءَ أخ
وكُنت أبْقِي عليـهـا من أذًى الكَلِمِ[1]

وبينمَـا الرجلُ تخبُّ به راحلتُـه يُناجـيـهَـا ويناغيهَا، ويشكُو شَظَفَ العَيش وقلَّةَ ذات اليد بدَت لهُ في الأفق أعـرابيـةٌ مـعـهـَا ذودٌ من الإبلَ ولعلها ابنَةُ ثريٍّ من أثرياء الصَّحراء.

وكـانَتْ تلكَ الفتاة تُضاحكُ صاحبةً لها.. ودَنا الأعـرابيُّ فسلَّمَ، وردَّت الظبـيـةُ عليـه السَّلامَ، وتنهَّدَ الرجلُ وزفرَ؛ فالغنيمةُ أمامَه، والثروةُ بينَ يدَيْه.

ولكنَّه تذكَّرَ أن الأمورَ باتَتْ محكومةً، وأنَّ الأمنَ صارَ حديثَ الرّكْبان. وقالَ الرجلُ

(١) الكَلِم: جَمع كلمة.

للمَرأة: أينَ القومُ؟ وأينَ الرِّجالُ؟

قالَت الحسناءُ: هُم خلفَ ذَاك الجَبَل، وبينَ تلكَ الأشجَار.

قال الرجلُ: ألا تَخافين يا ظبيةَ الصَّحراء؟ ألا تخشَيْن يا ريمَ الفَلاة؟

قالت الفتاةُ: الحمدُ للَّه؛ زمانُ النَّهْب ذهبَ، وعَهدُ الفَتْك رحل. فالبلادُ مرهوبةٌ، والناسُ مطمئنةٌ.

قال الرجلُ: ومنذُ مَتى نَعمتْ حالُكم؟

قالَت الفتاةُ: أينَ أنتَ؟! ألا تعلمُ أنَّ عبدَ العزيز وحَّدَ الوطنَ، وقضَى على الفتَن؟! فالطرقُ مأمونةٌ، والشياطينُ ملطومةٌ.

قالَ الرجلُ: إي واللَّه، لولا ذاكَ البطلُ لَما تركْنَا الغنيمةَ.

وأرخَى الرجلُ زمامَ رَاحلته، ودفَعها، إلى الأمام وانطلق يطلب الزاد والضيافة من قوم الفتاة.

ولاحَتْ له علَى البُعد قافلةٌ تتحرَّكُ، وظهرَ له في الأفق موكبٌ يتقدَّمُ، ونظرَ الرجلُ للقَادمينَ وقد لفحَتْه الشمسُ بلَهيبها، وكوته الرياح بسمومها، ولسعته الرمال بحرارتها.. وتوقَّفَ وتأمَّلَ، فتلكَ المرأةُ معَ الغَنيمة، وهؤلاء القَادمون.. أينَ أصحَابي؟ وأينَ رفاقي؟! آه على زمان كُنَّا نعترضُ وننهبُ، ونوقفُ ونأخذُ! ولكن أنَّى ذاك؟! فذاكَ تاريخ ولَّى. ووصلَ الموكبُ، ونظرَ الملكُ عبدُ العَزيز -رحمه الله-

إلى الرجل وهُوَ علَى رَاحلتـه، فـدَنا منهُ، وسلَّم علَيْه، فردَّ الرجلُ التحيةَ:

وسألَه الملكُ عبدُ العَزيز وهُو لا يعرفُه:

يا أخَا العَرَب، هل رأيتَ موكبَ المَلك عَبْد العزيز؟

فقالَ الرجلُ: لا، ويا ليتَ أنِّي أراهُ.

قالَ الملكُ: لماذَا؟

قالَ الرجلُ: أشكُو له الحالَ.

قالَ الملكُ: أتحبُّ عبدَ العزيز أم تكرهُه؟

قالَ الرجلُ: لا أحبُّه ولا أكرهُه.

قال الملكُ: لماذا؟

قال الرجلُ: أنا لا أحبُّه، لأنه لَو لم يكُن حاكمًا لكُنتم أنتُم ومتـاعُكم وهَذه السيَّارة وجميعُ ما فيهَا نهباً لنا ورزقاً لقومنا.

قال الملكُ: هذا جوابٌ معقولٌ. ولكنْ لماذا لا تكرهُه؟

قال الرجل: لأنَّه وإنْ حرَمَنَا الإغارةَ والنهبَ لكنَّه جاءَ بالعافية والأمْن والسَّلام.

نحنُ في الصَّحراء يومٌ لنا ويومٌ علينا. أمَّا اليومُ فتلكُم الأعرابيةُ تسيرُ وحدَها لا تخافُ إلا اللهَ والذئبَ.

والتفتَ الملكُ عبدُ العَزيز وقَد أضاءَت أساريرُ وَجهه، وقالَ: لقد صدقَ الرجلُ، وبيّضَ اللهُ وجَهه، لقدْ كانَ صادقاً في بُغضه وحُبِّه. وأنَا والله سعيدٌ ببُغْضه الذي صدق في بَيان أسبَابه، وسعيدٌ في حُبِّه الذي صدقَ في ذكْر أسبابه.

وأكرمَ الملكُ عبدُ العزيز ذلكَ الأعرابيَّ وأعطاهُ

وشَرَّهَه. وعادَ الرجُل يدعُو للمَلك عَبد العَزيز، وأحسبهُ يُنشدُ قولَ الشَّاعر:

سُدْ حيثُ شئت يحُلُّهُ النُّوَّارُ
وأراد فيك مُرَادَك المقْدَارُ
وإذا ارتحلت فَشَيَّعَتْكَ سَلامةٌ
حيث اتجهْتَ وَدِيمةٌ مِدْرَارُ
أنت الذي بَجِحَ الزَّمانُ بذكره
وتزيَّنت بحديثه الأسمارُ

إنه حديثٌ بينَ الحَاكم والرعيَّة، حيثُ لا يعرفُ أحدُهما الآخَر، وببساطة يدورُ الحوارُ، وبصراحة يتمُّ النقاشُ، وبوضُوح يجري السُّؤالُ والجوابُ.

لقد كانَ الرَّاحلُ العظيمُ - طيَّبَ اللهُ ثراهُ-

يتحسَّسُ أحوالَ رعيَّته، ويسألُ باديتَه، ويتابعُ أمورَ المواطنين في سَفَره وإقَامَته، ويقفُ بنَفْسه علَى أحوَالهم وشُؤونهم.

وبذلكَ توحَّدَت حولَه القلوبُ، واجتمعَت لدَيْه النُّفوسُ، وأحبَّتْه الرعيَّةُ، ودعَتْ لَه الأفئدةُ.

## في صيوان المنتصر

العفوُ من الأخلاق التي مدحَها المولى عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. وصورُ العَفْو في تَاريخنا الإسلاميِّ متعددةٌ، ونماذجُ التسامُح متنوعةٌ، والملكُ عبدُ العَزيز ـ رحمهُ اللهُ ـ بطلٌ من أبطَال الصَّفْح وإقَالة العَثَرَات، ولَه مواقفُ في هذَا المَجال متنوعةٌ فقد أغضَى عَن الزلات، وتناسَى الهَفَوَات وكظمَ غيظَه، ودفعَ بالتي هي أحسنُ. وله مواقفُ تصوِّرُ عظمتَه، وتكشفُ عن مكَارم أخلاقه وسُمُوّ مشَاعره.

فها هو ذا يحزمُ ويقمعُ فئةً شذّتْ عَن الطاعة وخرجَت عن الجَماعة، وناوأتْه وتمرَّدَت وشهرَت السِّلاحَ في وجهه، وأبَتْ مسالَمته وطاعَتَهُ، ورفضَتْ عَفْوَه ودَعْوَته.

وشاءَتْ إرادةُ الله أنْ يحصُلَ الصِّدامُ المسلحُ وأنْ يحسمَ تمرَدهم، وينتصرَ على هُجومهم وهربَ عددٌ منهم إلى خَارج الوَطن، وضاقَت عليهمُ الأرضُ بمَا رحُبَت، وأيقَنُوا أن غضبَ الملك البطل أرحمُ من عَطْف الآخرين، وأن قسوةَ المَلك الصَّقر أجملُ من إكَرام المجاورينَ. فعندَه العزَّةُ والكَرامة، وعندَ غَيره الذلَّةُ والمهانةُ. ولهذَا جاءوا وهُم في حَيْرَة وحَسْرَة، وأقبلُوا وهُم في خَوْف ورهبَة، وقرَّروا اللجوءَ للملك عَبد العزيز، خَصْمهم بالأمس، وقالوا: إن عفَا فهوَ الأملُ والرَّجاءُ، وإن قسَا فمَا ظلمَنَا ونستحقُّ القسوةَ.

وجاءَ الجانحونَ، المقرُّونَ بذَنْبهم، والطامعونَ في العَفْو والصَّفْح، وحينَ وصلُوا إلى معسكَر

الملك المنتصر، وجدُوا قبولاً وضيافةً بعدَ عَناء ومشقَّة، ولقَوْا طمأنينةً وراحةً بعدَ خَوف وحَسرة، وباتُوا ليلةً آمنةً.

وفي الصَّباح كانَ موعدُ المقابَلة معَ المَلك البَطل، وجاءَ المذنبونَ، وسيقَ الجانحونَ، وجلسَ الملكُ في صيوَانه ومن حَوله رجالُه وجنودُه، وتقدَّم المسؤولُ عَن الضُّيوف آنذاكَ إبراهيمُ بن جميعةَ، وقالَ بلهجَة قاسية: امشُوا يا بَدْوُ، عبدُ العزيز يدعوكُم.

وانتظمَ هؤلاء الأعرابُ في صُفوف، ومشَوْا للمَجْهول، وجلسُوا أمامَ المَلك وجمع من الجُنود يحيطونَ بالمَكان، والنفوسُ وجلةٌ، والقلوبُ قلقةٌ، وأحسبُ أن ألسنَتَهم قد تيبَّسَت، وأن أفواهَهم قَد جفَّتْ، وأن قلوبَهم قد

زادَ نبضُها، وعظُمَ اضطرابُها. فهلْ يا تُرى يكونُ النَّطْعُ والسَّيْف، أو العفوُ والتسامُح؟

وسكتَ القومُ، فلا تُسمعُ أنفاسهم، ولا تحسُّ وجودَهم، وتكلَّمَ الملكُ وقالَ: ماذَا جاءَ بكُم؟! بالأمس كنتُم فرساناً متعطِّشينَ للدَّم، سفكتُم دماءَ إخوانكم المسلمينَ وتعدَّيْتُم الحدودَ وبغيتُم علَى وَطنكم.

لَو أمرتُ الآنَ بقَتْلكم جميعاً فهلْ أكونُ ظالماً؟ وهَل بَيني وبينَكم عهدٌ وأمانٌ؟ ما الذي جاءَ بكُم؟

وزادَ تعنيفُه، وتوالَى تأنيبُه، وتكرَّر تقريعُه، وكانَ الموتُ قابَ قوسَيْن أو أدنَى، ولم يَحُلْ دونَ المنيَّة سوى إشارة منه وتتلاعبُ السيوفُ برؤوسهم.

وكانَتْ لحظات رهيبةً، وحالةً عصيبةً، وكأنَّ التاريخَ يعيدُ نفسَه. فهذَا المشهدُ شَبيهٌ بالمَشْهد الذي كانَ عندَ الخَليفة العباسيِّ المعتَصم بطَل عمُّوريةَ، الذي قال فيه الشَّاعرُ أبو تمام:

السيفُ أصدقُ أنبـــاءً مـن الكُتب
في حَدِّه الحدُّ بين الجـــدِّ واللعبِ
بيضُ الصَّفائح لا سودُ الصَّحائف في
مُتونهـن جـلاءُ الشكِّ والـرِّيَبِ
يا يـومَ وَقْعـة عمُّوريـةَ انصـرفَـت
منكَ المُنَى حُفَّلاً معسـولةَ الحَـلَبِ

ففي ذات يَوم جيءَ بتميم بن جميل، الذي خرجَ عن الطاعة، وجلسَ المعتصمُ وقد وَضعَ السيف والنَّطعَ وعنّف تميماً، وقال له: هل لك

من عذر أو حجة؟ فقال تميمُ بنُ جميل: أما إذَا أذنَ لي أميرُ المؤمنينَ فإنِّي أقولُ: الحمدُ للَّه الذي أحسنَ كُلَّ شَيء خَلقه، وبدأ خلقَ الإنسان من طين، ثم جعلَ نَسْله من سُلالة من مَاء مهين. يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الذُّنوبَ تُخرس الألْسنةَ، وتصدعُ الأفئدةَ، ولقد عظمَت الجَريرةُ، وكبُرَ الذنبُ، وساءَ الظنُّ، ولم يبقَ إلا عفوُكَ أو انتقامُك، وأرجُو أن يكونَ أقربُهما منك وأسرعُهما إليك أوْلاهما بإمامتك، وأشبهَهما بخلافتك، ثم أنشأ يقولُ:

أرى الموتَ بين السَّيف والنطع كامناً
يُلاحظني من حيثُما أتلفَّتُ[1]

---

النطع: هو جلد يقي موضع القتل من رشاش دم المقتول.

وأكـبَـرُ ظني أنك اليـو م قـاتلي
وأيُّ امـرئ مما قـضى اللهُ يُفْلت
ومن ذا الذي يُدْلي بعذر وحُـجَّة
وسـيفُ المنايا بين عـينيـه مُـصْلَتُ
ومـا جَـزَعي من أن أمـوتَ وإنني
لأعلـمُ أن الموتَ شيءٌ مُـؤقت
ولكنَّ خلفي صبيةً قـد تركتُهم
وأكـبـادُهُم من حَـسْـرة تتـفـتَّتُ
كـأنِّي أراهـمَ حين أنعَى إليـهم
وقد خمشوا تلك الوجُوهَ وصوَّتوا
فإن عشتُ عاشوا خافضين بغبطة
أذود الرَّدَى عنهم وإن مُتُّ مُوِّتوا[1]
فكم قـائلٍ: لا يبعـد اللهُ روحَه
وآخـرَ جـذلانٌ يُسَـرّ ويَشْـمَتُ

١- عاشوا خافضين بغبطة: أي في نعمة لينة وفرح وسرور.

وعند ذلك تبسَّمَ المعتصمُ وقالَ: كادَ والله يا تميمُ أن يسبقَ السيفُ العذلَ. اذهبْ فقد غفرتُ لك الصَّبوةَ، وتركتُك للصِّبية.

وذلكَ الملكُ عبدُ العزيز، فبعدَ أن عنَّفَ أولئكَ الجُناةَ وقفَ أحدُهم، واستأذنَ الملكَ في الكَلام، فأذنَ لَه، وقالَ الأعرابيُّ: يا عبدَ العَزيز ليسَ بيننَا وبينك عهدٌ ولا أمانٌ، إذا قتلْتَنَا قتلتَنا غيرَ مظلومينَ، وإن عفوتَ فمَا جاءَ بنَا إليكَ إلا معرفتُنا بكَ وبمكَارم أخْلاقك، اخترناكَ أباً لَنا وقائداً، أخطأنا في حقِّك كثيراً، وأسأنا الأدبَ، وزعزعنا الأمنَ، وبقدْر ذنوبنَا وأخطائنَا ينتظرُ إخوانُنا هؤلاء منكَ، العفوَ وهو أقتل لنا من السيف، نحن كرامٌ سنحافظ على ولائنا، سنُقدر هذا العفو إن شاءَ اللهُ، فاعفُ عنَّا، ولا تؤنِّبْنا، فإنَّنا لا نحتملُ التأنيبَ.

لستَ صَاحبَ أقوال، بل صاحبَ أفعَال. صحيح بالأمس كُنْتُ أقودُ كوكبةً من الفُرسان، أمّا اليوم فنحن المهزومون وأنت المنتصرُ، وبقدر انتصاراتك يكونُ عفوُك. قُل كلمتَك، أطلقْها يا عبدَ العزيز؛ أنتَ رجلُ المواقف.

ومكثَ القومُ، وكأنَّ علَى رؤوسهم الطيرُ، وانتظرَ الجميعُ قَرارَ المَلك، وقالَ الملكُ -ما معناه-: حسبيَ اللهُ عليكم؛ والله إنّكم منِّي بمنزلة الأبناء، إذا قطعتُ رَحمي فيكُم، وأنتُم عَضُدي الأيمنُ، فبأيِّ عَضُد أتَّقي مصائبَ الحياة؟ أنتُم أبنائي وقد عفوتُ عَنكُم. ثم التفتَ إلى أنصَاره وإلى الجَميع حَوله وقالَ: هَؤلاء إخوانُكم وأبناءُ عُمومتكم، إنَّهم من خيرة شَعبي، إنَّهم مَنْ أعطَى من نَفسه ومن دَمه وعَرقه

لهذه الدولة الشيءَ الكثيرَ، وماضيهم يشفعُ لحاضرهم، لا أسمعُ من واحد منكُم يقولُ: نحنُ أنصارُ عَبد العَزيز ورجاله وهؤلاء أعداؤُه وخصومُه. لَهُم عندي مثل ما لكُم.

هذه قصةٌ تكشفُ عن عَطف المَلك ورقَّته وعظمته وتسامُحه وبُعد نظره وعلُوّ همَّته، جعلَ من خُصومه رجالاً له، وصيَّر عداوتَهم عطفاً ومحبةً ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

إنَّ عبدَ العَزيز عظيمٌ وصبورٌ وإنسانٌ له مشاعرُ وعواطفُ تهزُّ وجدانَه فيعفُو ويبذلُ العَطاءَ.

## برقية ومريّة

امرأةٌ من البادية، ذاتُ جمال وبهاء، وفصاحة وبلاغة، وعِفّة وإباء، وشمم واستعلاء.

بدت قمراً ومَالت خُوطَ بان
وفاحَت عَنبراً ورَنَت غزالاً

ركبَت المرأةُ بعيرَها، وساقت إبلهَا، وأرخت زمام الراحلة، وخرجت من الرياض وحدَها، وانطلقت الراحلةُ بينَ الخُزامى والأقحُوان، وتوجَّهَتْ إلى الأحساء.

وسارَتْ ومعَها بندقيةُ الصَّيد، وانطلقَتْ ومعَها سلاحٌ تذودُ به وحشَ الفَلا وسباعَ الصَّحراء.

إنَّهَا امرأةٌ ألفَت الصحراءَ، وذاقَتْ قسوَتَها،

واكتَوتْ بلهيبهَا، وصارتْ قطعةً من أشْجَارها، وظبـاهَا، وشـربْت من غُـدرانهـا، والتـحـفَتْ بسمَائها ونُجومها، إنها ابنةُ البادية:

حُسْنُ الحَضارة مَجْلوبٌ بتَطْريَة
وفي البَداوة حُسنٌ غَيْر مجلُوبِ
أفْـدي ظباء فلاة ما عَرَفْـــنَ بهـا
مَضْغَ الكَلام ولا صَبْغَ الحواجيـب

ومن رَوْضة لأخْرَى. ومن واد لجَاره، والإبلُ تتابعُ، وكأنَّها خيطٌ قَدْ مُدَّ، أو طريق قد مُهِّد هذه وراءَ الأخْرَى، والثالثةُ بعدَ الثانية، وظلَّت المرأةُ تسـيـرُ وترفعُ الأهازيجَ، حـاديةَ الإبل ناعـمـةَ الصَّوت، فاترةَ الطَّرف.

ويغلبُها النّعاسُ، وتغفُو بينَ الرَّواحل وتسمعُ صَوتاً من البُعد يقولُ:

يا راعي البعارين ما شاهَدت لنا مطيّه
يا صاحب الذود ما جاك لنا مَرْكُوبة
يا بنت العرب ما عَيَّنْت لنا قعود
يا اخت الأجواد ما مَرّك لنا ذلول
يا مالكة المجاهيم ما لمحت لَنا خلفَة
يا بنت الصحراء ما قابَلَك لَنا مغاتير

وتجيبُ المرأةُ: يا راعيَ الصَّوت، جَنِّبْ ما عندَنَا لك مطيّه. يا باحث عن الغايب ما بين إبلنا مفقود.

وتسيرُ تلكَ العربيةُ الأبيّةُ، وتَهمُّ بصَيْد غَزالة جفلت، ثُم تُمسكُ إصبع الزّناد، فقد نطقَ الغزالُ! واللهُ قادرٌ علَى كُلِّ شيء.. ودارَ الحوارُ التالي:

قالَت الغزالَة الجافلة: علَى رسْلك يا غزالَة البَشَر، كيفَ تقتل الغزالةُ الغزالةَ؟!

قالت البدويّةُ: يا ظبيةَ الفَلاة تعالَيْ واصحبيني، آنسيني وسلِّيني.

قالت الغزالةُ الجافلة: أخشَى الغدرَ منك يا ابنةَ الصَّحراء.

قالت البدويةُ: وهل تغدُر الغزالةُ بالغَزالة؟! وهل يصيدُ الظباءُ الظباءَ؟!

قالت الغزالةُ: يا ليتَ أنَّ الصَّحراءَ تَخْلو لي ولك فنتآلفُ ونتحاورُ، ونتجادلُ ونتناغَى.

قالت البدويةُ: صدقت. هذا ركبٌ قادمٌ، وهذا جيشٌ بارزٌ، اهربي، هَرْولي، اقفزي، أسرعي.

وقربَ الرَّكْبُ الملكيُّ، ورأى رجاله المرأةَ تحدو

إبلَها، فأمرَ سيّدُهُم الملكُ عبدُ العزيز ـ رحمه اللهُ ـ أحدهم أن يذهبَ إلى المرأة ليسألَها أينَ هيَ راحلة، وإلى أينَ هي متوجِّهةٌ؟ ولماذ هيَ وحدَها؟ وأينَ رجالُها؟ وأينَ محارمُها؟

ودنَا منهَا الرجلُ وسلَّم، فردَّت التحيةَ، وكرَّرَ السَّلامَ، فكرَّرت الجوابَ، وأسرعَت الخُطى.

وقالَ الرجلُ: على رِسْلكَ يا امرأةُ.

قالت المرأةُ: وماذَا تريدُ؟

قال الرجلُ: أينَ أنت ذاهبةٌ؟

قالت المرأةُ: إلى الأحساء لشراءَ بعض الحَاجات.

قالَ الرجلُ: وأينَ محارمُك؟ وأينَ رفاقُك؟

قالت المرأةُ: ولماذا تسألُ؟ هل هذَا يعنيكَ؟

قالَ الرجُل : إنه سؤالٌ.

قالت المرأة : وهُو الجوابُ، لا شأنَ لكَ واذهبْ لحاجَتك .

قالَ الرجلُ : عزمتُ عليك إلا أجبت .

قالت المرأةُ : توكَّل علَى الله، واذهبْ لشأنكَ، ولا تسألْ عمَّا لا يعنيكَ .

وعادَ الرجلُ وأخبرَ الملكَ عبدَ العزيز، وأسرعَ الملكُ بنفسه إلى المرأة وسألَها وقال : أين بعلك يا امرأة؟ .

قالت : وماذَا يعنيكَ؟ عسى الله أن يُطيل في عمر عبدالعزيز، إن الأرضَ عمَّ فيها الأمنُ والسلام بفضل الله ثم بعبدالعزيز، إن عبدَالعزيز عنده في السماء برقية، وفي الأرض مريّة، المريّة يقصون الأثر والبرقية تُخبر أُمراء عبد العزيز

فيلاحقون الجاني ويؤدبون العاصي، وصار الناس كلٌ حقه محفوظ، وكلٌ أمنه مرهوب.

بارك اللهُ في عبد العزيز وأعزَ اللهُ عبدَالعزيز ومكّن الله لعبد العزيز.

ورمَى عبدُالعَزيز عقالَه، وسارَ بالقُرب منهَا وهيَ على راحلَتها.

وكررَ القول: أينَ بعلُك يا امرأة؟

قالت: ابتعدْ وأمْسك عن الكلام. عسى اللهُ أن يمدَّ في عُمر البَطل عَبدَ العزيز، لقد أصبحَت الأرضُ والسماءُ آمنةً.

عبد العزيز: اهْدَئي يا امرأةُ ولا تَغضبي.

واقتربَ رجالُ البطَل، والتفتَ إليهم، وقالَ الملكُ الراحلُ ـ رحمه الله ـ: مَن معه ورقةٌ منكُم؟

قالَ أحدُهم: لديَّ المطلوبُ. ها هيَ الأوراقُ والأقلامُ.

عبدُ العزيز: اكتُبْ.

الرجلُ: ماذَا أكتبُ يا طويلَ العُمر؟!

عبدُ العزيز: إذا وصلتْكم هَذه المرأةُ أعطُوها كلَّ مَا يلزمُها من كساء وزاد قلَّ أو كَثُرَ.

والتفتَ عبدُ العزيز إلى المَرأة وخاطَبَها، وقالَ: خُذي هذه الورقةَ واذهَبي إلى الرياض، وستجدينَ كلَّ مَا تريدينَه.

قالت المرأةُ: ما يُعطي مثلَ هذَا إلا عبدُ العزيز! مَنْ منَ المسلمينَ يُعطي ولا يأخذُ إلا عبدُالعزيز؟!

قالُوا: هذا رزقٌ جاءكَ فخُذيه.

قالتْ: أظنُّ أن بينكم عبدَ العزيز، دعُوني أسلِّمْ عليه.

قال أحَدُ الرجال: يا ابنةَ الكرام، خُذي الورقةَ، وإذا جئت الرياضَ فسوف تحصلينَ علَى خَير كَثير.

وانطلقت ابنة الصَّحراء تسوقُ إبلَها، وتغدُو وحدهَا، فقدْ عمَّ الخيرُ، وانتشرَ العدلُ، وتحقَّقَ الأمنُ، وغابَتْ وأحسبها تُردِّدُ قولَ الشَّاعر:

انْعَم ولَذَّ فللأمُورُ أواخرٌ

أبداً إذا كانت لهُنّ أوَائلُ

ولعلها تنهَّدَت وتذكَّرت زوجَها الرَّاحل، وحبيبَها الغائبَ، وتلفَّتَتْ تلفت الغَزَالة المطمئنّة وقالَتْ:

للَّهْـــو آونَـــةٌ تمـــرُّ كأنهـــا

قُبَلٌ يُزوِّدُها حبيبٌ راحـــلُ

جَمَحَ الزمانُ فما لذيذٌ خالصٌ

مما يشوبُ ولا سرورٌ كاملُ

رحمَ اللهُ الملكَ عـبـدَ العـزيز، كَم لَه من يدٍ جميلة علَى وطننا الغالي!

فقد وَحّدَ أجزاءَه. ولملمَ أطرافه، وأقامَ شَرعَ الله، وعدلَ فأمنَ ونامَ.